

حديث آخر!!

طبيب نفسك يقرأ "النص البشري" فد السياسة

بصفته: صاحب بطاقة انتخابية

Information Processing

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD251212.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوى

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2012/12/25

السنة السادسة - العدد: 1943



مقدمة:

على الرغم من أنه قد جاء فى متن الحديث تأكيدى أننى لا أحلل شخصيات سياسية، وقد شرحت موقفى أننى مضطر أن أقرأ النص البشرى مادام يريد رأى فيه ناخبا، ولو غصبا عنى، على الأقل حتى أحسن اختيار من أنتخبه ليسير بعض أمورنا، إلا أن الحديث صدر بعنوان بعرض الصفحة الكبيرة جداً هكذا:

أستاذ الطب النفسى يحلل شخصيات مشاهير السياسة

وقد تصورت أنهم حذفوا هذا التنويه الأساسى الذى لو شككت فى أنهم سوف يهملون الوفاء به لامتنعت عن الحديث أصلاً، والأدهى أن العنوان التكميلى وليس الفرعى ذكر صفة أو اثنتين لكل اسم ورد فى السؤال بعيداً عن السياق كما يلاحظ القارئ هكذا:

يحيى الرخاوى: "الشاطر" عدوانى ونسخة إخوانية من "عز" ..

والبرادعى ومرسى "مالهمش فى السياسة" .. وأبو إسماعيل "فرحان بنفسه"

وبالرغم من كل ذلك فقد نشر الحديث كاملاً بعنوان فرعى أيضاً يقول:

وعى الشعب أصدق من "فذلكة" المثقفين

فهداً ذلك من غضبى قليلاً، لأننى كنت أريد أن أوصل هذه الرسالة الأخيرة فعلاً.

بعد كل هذا وبسببه ترددت فى نشر الحديث فى الموقع لكننى وجدته موضوعياً ومفيداً فوضعت له هذا العنوان أعلاه "طبيب نفسى يقرأ الخ"، وهو العنوان الذى كنت أفضل أن يكون عنوان الحديث المنشور.

1) تساؤلات عديدة يفرضها المشهد لكن دعنى ابدا بسؤال حول التغير فى الشخصية المصرية نحو العنف اللفظى والجسدى واتخاذ مواقف أكثر راديكالية تجاه ما لا يعجبه؟

د. يحيى:

كررت كثيراً، ولا مانع عندى أن أكرر من جديد، التحذير من الانسياق وراء فكرة احتمال التغير السريع فى الشخصية الإنسانية عموماً، هذا غير وارد لافى شخصية الأفراد ولا فى شخصية الشعوب، نحن عادة نعى بكلمة تغير "ثقلة نوعية" وليس مجرد إضافة "كمية" الثقلة النوعية عبر تاريخ الحياة (التطور) أو تاريخ نمو الفرد (رحلة النمو) أو

تاريخ حضارة الشعوب لا تحدث في أيام أو شهور أو حتى سنين، إنها تُعلن فقط في الوقت الذي يسمح لها "بالظهور" أي أنها تحتاج إلى تراكم خبرات، وتكثيف تجارب لمدة عشرات السنين حتى يصل هذا وذلك إلى حد معين (يسمى "عتبة" التغيير threshold)، هذه العملية عملية التغيير لا تحدث بشكل داخلي تلقائي بعيدا عن الأحداث، وخاصة الأحداث الجسيمة، التي تهدد الفرد أو الجماعة بتحديات البقاء، مثل الحروب أو الكوارث أو الثورات، ينبغي أن نسمى هذه الأحداث "العوامل الكاشفة" وليست المسببة، أي التي تكشف أو تحدد توقيت كشف ما كان يجري من تراكم وتفاعل وتكثيف. آسف لطول المقدمة وإنما أردت أن أنتهزها فرصة لنخفف من إلحاح طرح نفس السؤال طوال العامين الماضيين.

الشخصية المصرية لم تتغير وإنما ظهرت منها ابعاد أخرى ومستويات أخرى كانت كامنة في عملية تكوين طول الوقت، ومثل أي جوانب متعددة تنكشف في ظروف مختلفة جاءت الأحداث الأخيرة فكشفت عن السلبي منها والإيجابي، هذا علما بأن العنف اللفظي والجسدي ليس سلبيا على طول الخط، كما أن المواقف الأكثر راديكالية لا تعنى بالضرورة موقفا سلبيا بقدر ما تشير إلى فرط الحماس والمبالغة في التمسك بالموقف المبدئي.

(2) وكيف ترصد وتفسر التحولات النفسية والذهنية التي يمر بها الشاب المصري عقب انضمامه الي التيار الاسلامي وصولا الي التكفير والتفجير؟

د. يحيى:

يتوقف ذلك على سن هذا الشاب وقت تعرضه لهذه الخبرة، وايضا على ظروف الدوافع التي دفعت به إلى ذلك، وكلما كان سنه أصغر كان عرضة للتشكيل من خارجه أسهل، كذلك فإن العلاقة بين مجتمعه الأصغر (الأسرة مثلا) وهذا المجتمع الإسلامي المبرمج قد تمثل عاملا هاما، فهناك الشاب الذي يرتمي في أحضان هذا المجتمع الديني احتجاجا على أسرة تبدو له متحررة أكثر من ميوله المحافظة التي لاحت له من مصدر آخر، وعلى العكس هناك من يكون انتمائه لهذا المجتمع الإسلامي مجرد امتداد للقيم الثابتة الملتزمة (ولو ظاهرا) التي تتصف بها أسرته فأرضعته إياها منذ نشأته، في الحالة الأولى يكون مثل هذا الإنتماء تحولا أشبه بثورة احتجاجية، وفي الحالة الثانية لا يكون تحولا بقدر ما تكون زيادة الجرعة بمثابة تفعيل لما نشأ عليه، قد يضاف إليه المبالغة والعنف والراديكالية، ثم يأتي التمادي في الشجب والتكفير بالاستغراق في الإفتاء وقهر التفكير النقدي وإذكاء الغرور، وكل ذلك يعطى لمثل هذا الشاب معنى وهدفا لا يجدهما في أسرته أو مجتمعه عامة.

(3) كيف يكذب انسان عاقل صور وفيديوهات ترصد الكذب وتبدل المواقف ويظل مدافعا عن موقف او زعيم سياسي؟

د. يحيى:

وصف إنسان ما، مهما كان عمره أو كانت ثقافته أو شهادته، بأنه عاقل هو وصف يحتاج إلى توصيف، فكلمة إنسان عاقل قد تشير إلى من هو "إنسان ذكي" أو إلى من هو "إنسان واقعي" ذو خبرة، أو إلى من هو "إنسان منطقي موضوعي"، وعموما فإن التشكيك في الفيديوهات والصور وارد بعد شيوع ألعاب الفبركة والترفيف، وحسب متانة أيديولوجية هذا الإنسان الذي نسميه عاقلا، ويقدر مدى تعصبه لها، تكون قدرته على رفض وتكذيب ما لا يتفق مع عقيدته الخاصة أو الفئوية، ولن يعدم وسيلة تقنية حديثة تبرر له ذلك.

4) هل فقد الانسان المصري بوصلته الثقافية وتخلي عن تراثه لصالح رؤية اخري مختلفة .ولم يعد للمثل الشعبي والعرف دورهما في عملية تقييمه للحالة العامة؟

د. يحيى:

إعمل معروفاً، خفف من التعميم بعض الشيء، لا يجوز الحديث عن الإنسان المصري هكذا لنشمل به مختلف فئات وطبقات المجتمع بشكل عام دون الإشارة إلى اختلاف الثقافة الفرعية والجغرافيا، فنحن نتكلم فى مثل هذه الأسئلة والإجابات عن إنسان "الميادين" و"المظاهرات" و"الاعتصامات" و"الشوارع"، وهؤلاء لا يمثلون كل المصريين لو سمحت، حتى لو ضمنا إليهم تجمعات أصحاب المطالب الفئوية، الإنسان المصري مازال يمسك بفأسه فى الحقل، ويكسر فحل بصل هو كل "غموس" رغيه الجاف على رأس الحقل، وابنه يبحث عن وظيفة غسيل الأطباق فى مطعم صغير فى شرم الشيخ، وكل هؤلاء لهم أعرافهم ومنظوماتهم القيمة التى لا ينطبق عليها هذا التعميم، الإنسان المصري مازال هو الإنسان المصري حتى لو أخطأ أحيانا أو نسى بعض إيجابياته فانفجر سلبيا من فرط الغضب أو اندفاع الفرح بعد طول احتقار وتهميش وإلغاء.

5) كيف تري عمليات شيطنة النخبة الثقافية واتهامها بانها وراء الخراب وضد الرغبة والمزاج الشعبي؟

د. يحيى:

ايضا أحرر من التعميم، فهل تعنى بالنخبة الثقافية كافة مجتمع المثقفين، أم من يسمون الصفوة المثقفة، أم ماذا؟ ليس إلى علمى أن أيا من هؤلاء قد اتهمه أحدهم بالشيطنة أو بأنه وراء الخراب وضد المزاج الشعبي، أظن أن الاتهامات الموجهة إليهم - وبعضها على حق - هى اتهامات: بالسلبية، أو بالاكتماء بالكلام الساخط سواء فى مجالسهم الخاصة، أو عبر الإعلام، أو بالفرجة، أو بالترويج لليأس واللا جدوى سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، وكل هذه مواقف سلبية تؤخذ عليهم، لكن عذرهم أن الممارسة السياسية الحالية مازالت غامضة، وهشة، فلعلم ينتظرون مواقف أكثر تحديدا حتى يشاركون بجدية، مع أن المفروض أن يساهموا بدور إيجابى فى مرحلة التكوين الحالية.

6) الانسان المصري متدين بطبعه .. هل هذه الجملة صحيحة والي اي مدي والي اين يمكن ان تاخذنا؟

د. يحيى:

هى جملة صحيحة ونصف، ليس فقط من واقع التزامات كثير من الناس الظاهرة حاليا، وليس حتى بقياسها بالميوول والعادات السلوكية فى إطار ما يسمى الدين الشعبى ولكن من واقع التاريخ والجغرافيا، لكن للأسف فإن أى من هذا يستغله أصحاب الغرض لتحقيق أهداف أبعد ما تكون عن الدين والإيمان، الإنسان المصري متدين حتى من قبل اعتناقه للأديان السماوية، متدين بمعنى علاقته الوثيقة والدائمة بخالقه من خلال عباداته، وربما ساعده فى ذلك الطبيعة المنبسطة للأرض المصرية ودورات الرزق والعمل عبر الفيضان، أما إلى أين يمكن أن تأخذنا هذه النزعة؟

فهذا يتوقف على من يأخذنا، فالمفروض أنها كانت يمكن أن تأخذنا إلى تعمير الأرض، والتحيز لما هو حياة، وحمل مسئولية كل الناس الذين يشاركوننا دفع ثمن ظلم القوة المفترسة المتغترسة عبر العالم، أما من حيث الواقع السياسى واستعمال الدين،

وبالذات الدين الإسلامى لغير غرضه الأسمى فهى يمكن أن تأخذنا إلى أسفل سافلين. إلا الذين آمنوا وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر والعمل والإبداع.

(7) لماذا يبدو الحوار بين فئات المجتمع حوارا لطرشان .. لا يصل لنتيجة ولماذا ارتفعت نبرة التخوين والاتهامات بالعمالة ؟

د . يحيى:

نبرة التخوين والاتهام بالعمالة موجودة دائما بدرجات مختلفة فى أى عمل سياسى نشط عبر العالم، ولكنها تتوقف عند مرحلة سوء التأويل وإطلاق الإشاعات، أما فى عالمنا العربى المتواضع النمو (مؤجلا صفة التخلف مرحليا) فهى تصل إلى درجة إطلاق الأحكام الدامغة دون دليل، وأحيانا تصل إلى درجة التكفير إذا ما دخلت أبجدية الدين فى قاموس السياسة، وأعتقد أن ذلك يرجع أساسا إلى أننا فى أول طريق ممارسة ما يسمى الديمقراطية التى تتيح درجة أكبر من حرية التعبير، وهى فى أصولها الإيجابية لا تسمح بهذه الدرجة من التخوين والاتهام بالعمالة على العمال على الباطل،

ثم أرجو ألا تنسى احتمال أن القوى الخارجية التى تلعب من وراء ستار يمكن أن تكون فى خطتها - من ضمن خطوات التأمير المنظم - أن تصنع العميل الخائن صناعة سواء بوعى هذا المواطن الأداة أو من خلال غفلته، وليس كل تخوين نابع من فراغ على أية حال.

(8) اود من سيادتكم ان تعطيني تحليلا نفسيا واجتماعيا للشخصيات التي احتلت صدارة المشهد مؤخرا .. دكتور مرسي ، البرادعي ، حمدين صباحي ، خيرت الشاطر ، حازم ابو اسماعيل ؟

د . يحيى:

أعتدت أن أنفى ابتداء أنى أقوم بتحليل نفسى لأية شخصية سياسية، ولا حتى لمرضاى فى العيادة، كل ما وصلت إليه هو أننى أحاول "تقد النص البشرى" سواء كان سويا أو مريضا أو حتى شخصى أنا، فى حدود ما يصلنى عنه ومنه من معلومات، وهى دائما معلومات قليلة وغير كافية، وأنا مثلى مثل أى مواطن له حق الانتخاب، فالفرد لا ينتخب إلا بعد أن "يقرأ وينقد الشخص الذى يختاره" وهذا ما أفعله مثل أى مواطن، دون وصاية نفسية، وفى هذه الحدود، ومع إعادة التأكيد أننى لا أحلل وإنما أبدي رأى مواطن ينتخب أقول:

دكتور مرسي: فلاح مصرى شرقاوى، طبيب، أكاديمى محدود، ليس له فى السياسة، مظلوم، قليل الخبرة حسن النية، سهل الاستهواء، أدعو الله أن يكون من الذين "اعترفوا بدُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"
البرادعي: مصرى، عالم، غربى الهوى، ورث العدل عن أبيه، ليس له فى السياسة أيضا، لكنه حسن النية ضعيف التعرف على جماع الوعى الشعبى الحقيقى.

حمدين صباحي: شاب متحمس، ناصرى صادق سطحي ملتزم بالدين الشعبى الواضح البسيط، ضعيف الشعور بالمسئولية، خاصة عندما يبذل الوعود دون التألم والحيرة لصعوبة أولوية الحصول على موارد تضمن مصداقيته، وهو يستعمل ما يرجو أن يربط صورته بصورة عبد الناصر، ولكن من الظاهر فقط للأسف.

خيرت الشاطر: تاجر سياسة، مهندس، رجل أعمال ناجح، عدوانى التوجه، ربما يثبت أنه النسخة الإخوانية لأحمد عز، وهو مندفع يحسب قدراته وقدرات جماعته بأكبر من حجمها، وهو لا يتعلم من أرقام السياسة كما يتعلم من أرقام البنوك لأعماله الخاصة

غالباً.

حازم أبو إسماعيل: شاب ذكى، فرح بنفسه وبأتباعه دون عمق سياسى، لا أظن أنه يضع اعتباراً لتخطيط طويل المدى، وربما هو لا يحاسب نفسه كما ينبغى أمام الله ليلة بليلة، وصلاة بصلاة، ولو ألقى معاذيره، وأنا أشفق عليه لو تبرأ من أتباعه يوم القيامة، وإذا بهم يطلبون من الله سبحانه وتعالى كرامة ليتبرأوا منه كما تبرأ منهم، غفر الله لى وله وللجميع.

(9) كيف ترى نتيجة المرحلة الاولى من الاستفتاء؟ وهل من الممكن ان يتقبل الناس تمرير الدستور بالتزوير اذا ثبت؟

د. يحيى:

أولاً: التزوير لا يثبت إلا بحكم محكمة ولا يصح أن نعزو أغلب النتائج إلى تزوير ذكى استطاع أن يفلت من جمع الأدلة لتقديمها للمحكمة، وقد قلت "لا" شخصياً للدستور، لكننى دعوت الله وأنا أضع الورقة فى الصندوق أن تتم الموافقة بـ "نعم" من أجل مصر، لا من أجل الإخوان ولا من أجل الرئيس، لأن رفض هذا الدستور سوف يجرننا إلى سنة أخرى من الكلام والمناقشات والتوفيق واللث واللعجن والبراسيم الجمهورية المؤقتة المرتعشة والظالمة والمليونيات الموضوعية، والمليونيات المضادة، وتضيع مصر، ولو كنت أعرف أن "لا" التى قلتها سوف ترجح الكفة نحو "لا" كاملة إذن لقلت "نعم"، أنا قلت "لا" حتى أساهم فى توازن الكفة واقتراب الأرقام فقط.

والرأى عندى هو إما عودة إلى دستور 71 مع تعديل خمس أو ست مواد، وإما عمل لجنة لا يزيد عددها عن عشرين ولا يمثل فيها أى تيار سياسى بأكثر من شخص واحد ثم نرى.

(10) كيف ترى الدعوات الي حرمان الاميين من التصويت الانتخابي؟

د. يحيى:

كلام فارغ، ليس ثقة فى الشعب المصرى، أو تصفيقا للديمقراطية، وإنما ثقة فى الأميين وإيمان العجائز والوعى الجمعى الأقوى عند عامة الناس، وكل ذلك أصدق من فذلكة المثقفين والأكاديميين.

(11) هل معاناة الاخوان في السجون طوال السنوات السابقة هى التى تخلق لديهم الرغبة في الاستحواذ على كل شئ حالياً؟ وهل يصلح للحكم من سجن لفترة طويلة؟

د. يحيى:

الاستحواذ على السلطة لا يحتاج إلى أن يسجن من يشغل كرسيها حتى يستأسد ويطغى، ويتفرعن، فالسلطة فى حد ذاتها فيها سحر اسود والعياذ بالله، أما تجربة السجون فلها وعليها، فقد يخرج منها المظلوم شريفاً يعمل أى شىء إذا تولى السلطة ليحول بين أى برىء أن يمر بما مرّ به، وعلى العكس من ذلك قد يتقمص بالمعتدى ويصبح أكثر قهراً وأرعب خوفاً منه، وهات يا تكرر الظلم، بقهر ونفى وسجن خصومه، الصنف الأول يصلح ونصف، والنوع الثانى - ربنا - والشعب - يكفيننا شره.

*** **